Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 39:2 (2004)

المثل ومفهومه عند اللغويين في التراث العربي

سالم الهدروسي

DMHL

تمهيد:

اعتنى علماء العربية ودارسوها بمعالجة مادة "المثل"، وتطور مشتقاتها وتراكيبها ودلالاتها في مختلف مجالات الدراسات اللغوية والتفسيرية والأدبية والبلاغية، وقد أدركوا قديماً وحديثاً مدى اتساع دلالات هذه المادة، وتشعب معانيها، وتعدد مفاهيمها في المجالات الدراسية المذكورة، ولذا فقد آثرنا أن نقتصر في هذا البحث على معالجة تطور دلالات هذه المادة في المجال اللغوي والمعجمي، حيث جاءت عناية علماء هذا المجال أبكر في الدراسات العربية من عناية علماء الأدب والبلاغة بدراسة هذه المادة، وتتبع استخداماتها وتطور معانيها، ومحاولتهم البحث عن جذورها اللغوية ومشتقاتها، ومن ثم تحديد دلالاتها الأصلية الحسية والمعنوية، وحصر ما تطور عنها من المعاني والدلالات والمفاهيم على سبيل الحقيقة، أو المجاز، أو التوسع الأسلوبي، ومناقشة استخدامها في السياقات اللغوية المبكرة، والنصوص القرآنية، ليدعموا ما ذهبوا إليه من النظر والرأي بنماذج عملية، تشهد على صحة نظراتهم وآرائهم وسوف أقوم بمعالجة تطور استخدام هذه المادة في الأدب والبلاغة والتفسير في بحث آخر إن شاء الله. وقد قسمت معالجة هذه القضية لاتساع مجالاتها وتشعبها، وجعلتها مبنية على قدر نسبي من المشاكلة والمقارنة في اشتراك اللغويين والباحثين الذين تعرضوا لموضوع البحث في الاهتمام بقسط وافر من القضايا والآراء، وربما في النتائج، إضافة إلى اعتبار التدرج الزمني في ظهور الاهتمام بهذه القضية أو تلك ما أمكن.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

المثل ومفهومه عند اللغويين:

اعتنى علماء اللغة وأصحاب المعاجم بالأمثال عناية كبيرة. لأنها تمثل لهم اللغة الرائقة العفوية، ذات الصفاء التلقائي، فأخذوا منها كثيراً من الشواهد في أبنية اللغة وتراكيبها ودلالاتها وأساليبها وأصواتها وما إلى ذلك من المسائل اللغوية. ومما يؤكد هذا أن تدوين الأمثال العربية ابتدأ مع بداية تدوين اللغة، وأنه توقف أو ضعف مع ضعف حركة تدوين اللغة وجمعها وتصنيفها، وكذلك نلحظ أن أول من تصدى للأمثال بالجمع والشرح والتدوين والتصنيف، هم علماء اللغة، وإن كتب الأمثال مليئة بالإشارات اللغوية وغريب اللغة وشواهدها وشروح أساليب اللغة البيانية الفصيحة، مثل **كتاب الأمثال** للمفضل الضبّي (ت ١٧٠هـ)، **وكتاب الأمثال** للمؤرخ السدوسي (ت ١٩٥هـ)، **وكتاب الأمثال** لأبي عبيد القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤هـ)، **وكتاب الأمثال** لأبي عكرمة الضبّي (ت ٢٢٥هـ)، **وكتاب الزاهر** لابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) وغيرها[1].

والمتفحص لمادة المثل في معجمات اللغة العربية وآراء اللغويين في المصادر المختلفة، يجد قدراً وافراً من التوافق والاشتراك في طبيعة معالجة هذه المادة ودلالاتها، إلى جانب التفاوت والاختلاف بحسب منطلق الرؤيا التي يعالج هذا العالم أو ذلك الجوانب المختلفة لعناصر هذه المادة ودلالاتها ووظائفها وتحليلاتها في مجالات اللغة والأدب والبلاغة والتفسير وغيرها من خلاله، ومن المعهود في كثير من المعجمات اللغوية أن تقوم المعاجم الموسوعية المتأخرة منها بتكرير مادة المعاجم التي سبقتها وتفصيلاتها، أو تقوم بتهذيبها والتعديل عليها بالزيادة والإنقاص وما شابه ذلك.

والمستعرض لمادة "المثل" في المعاجم اللغوية المختلفة يلحظ أنها قد أثبت لها الدلالات التالية: الشَّبه، والنظير، والنِّد، والتسوية، والمماثلة، والصفة، والحديث، والخبر، والحجة، والعِبرة، والآية، والحذو، والمقدار، والقالب، والانتصاب، والفضل، والصورة، والالتصاق بالأرض،

---

١ – انظر عفيف عبد الرحمن: **الأمثال العربية القديمة**، ص ٢٢، بحث منشور في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، تصدر عن جامعة الكويت، المجلد الثالث، العدد العاشر، ١٩٨٣م، وطه حسين: **في الأدب الجاهلي**، ص ٣٣١، دار المعارف، مصر، ١٩٢٧م، ومحمد توفيق أبا علي: **الأمثال العربية**، ص ٢١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٨م.

والذهاب، والزوال، والعفوية، والقصاص، والتنكيل، الفراش، والنمط، والحجر المنقور[1]. ونلحظ في هذه الدِّلالات المراوحة ما بين الجانب المادي المحسوس والمعنوي المجرد، إضافة إلى بعض جوانب الدلالة الاصطلاحية، في هذا الجانب أو ذاك.

وفيما يلي عرض متكامل لمعالجة دلالات مادة "المثل" في **معجم لسان العرب**، وقد رأينا استخلاصها زيادة في الإيضاح، حيث قام صاحب هذا المعجم باستيعاب معظم ما جاء حول هذه المادة في المعاجم اللغوية التي سبقته، إضافة إلى ما تيسَّر له الوصول إليه في كتب النحو والتفسير، ولم أجد هناك زيادة ذات شأن في جانب الدلالة اللغوية في المعاجم التي تلته، وقد جاء فيه ما تهذيبه:

"مَثَـل: مِثل، كلمة تسوية، يقال: هذا مِثْـلُه، كما يقال: شِبهَهُ و شَبَهَهُ بمعنى. قال ابن برّي: الفرق بين المماثـَلةِ والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار، لا يزيد ولا ينقص، وأما الماثلة فلا تكون إلاّ في المتفقين... فإذا قيل هو مِثْـله على الإطلاق، فمعناه أنه يَسدُّ مَسَدَّه، وإذا قيل هو مِثله في كذا، فهو مساوٍ له في جهةٍ دون جهة...، والمِثْـل الشَّبَه، يقال: مِثل ومَثَـل، وشِبه وشَبَه، بمعنى واحد ...، والمَثَـل: الحديث نفسه.

قال الجوهري: ومَثَـل الشيء أيضاً صفته. وقال ابن سيده: وقوله عزَّ من قائل: ﴿**مَثَـلُ الْجَنَّةِ الَّتِيْ وُعِدَ الْمُتَّقُوْنَ**﴾[2]. قال الليث: مثلها هو الخبر عنها، وقال

---

١ – انظر ابن دريد محمد بن الحسن الأزدي (ت٣٢١هـ): **جمهرة اللغة**، تحقيق: كرنكو، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ـ الهند ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، والأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت٣٧٠هـ): **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون ورفاقه، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٤–١٩٦٧م، ٩٥/١٥، والجوهري: **الصحاح**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٦م، ١٨١٦/٥، وابن فارس: **معجم المقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٩م، ٢٩٦/٥، والزمخشري: **أساس البلاغة**، تحقيق: عبد الرحيم محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ٣٦٦/٢، والصنعاني: **التكملة**، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠–١٩٧٧م، ٥١١/٥، وابن منظور: **اللسان**، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠م، ٦١٠/١١، والفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢م، ٤٩/٤، والطريحي: **مجمع البحرين**، تحقيق: أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٥٧م، ٤٦٩/٥، والزبيدي: **التاج**، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ١٩٦٦م، ١١٠/٨، ورضا: **متن اللغة**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠م، ٢٤٤/٥.

٢ – سورة محمد، الآية: ١٥، وسورة الرعد، الآية: ٣٥.

أبو إسحاق: معناه صفة الجنة. وردّ ذلك أبو علي فقال: لأن المَثَـل الصفة غير معروف في كلام العرب، وإنما معناه التمثيل. قال عمر بن خليفة: سمعت مُقاتلاً صاحب التفسير يسأل أبا عمرو بن العلاء عن قوله عزّ وجل ﴿**مَثَـلُ الْجَنَّةِ**﴾ ما مَثَـلُها؟ فقال: ﴿**فِيْهَآ أَنْهَارٌ مِّنْ مَّآءٍ غَيْرِ آسِنٍ**﴾[1]...، قال فسألت يونس عنها، فقال: مَثَـلُها: صفتها، قال محمد بن سلام ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ مَثَـلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَـلُهُمْ فِي الْإِنْجِيْلِ**﴾[2] أي صفتهم. قال أبو منصور ونحو ذلك روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه.

قال أبو منصور: وللنحويين في قوله تعالى: ﴿**مَثَـلُ الْجَنَّةِ الَّتِيْ وُعِدَ الْمُتَّقُوْنَ**﴾[3] قول آخر، قال محمد بن يزيد الثمالي في **كتاب المقتضب**، قال: التقدير فيما يتلى عليكم "مَثَـلَ الجنة"، ثم فيها وفيها. قال: ومن قال: إن معناه صفة الجنة فقد أخطأ، لأن مَثَـل لا يوضع في موضع صفة، إنما يقال: صفة زيد أنه ظريف، وأنه عاقل: ويقال مَثَـل زيد مَثَـل فلان، إنما المَثَـل مأخوذ من المِثال والحَذْو، والصفة تَحْلية ونعت. وقد يكون المثل بمعنى العِبْرَة، ومنه قوله عزّ وجل ﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَـلاً لِّلآخِرِيْنَ**﴾[4] ومعنى قوله "ومَثَـلاً" أي عِبْرة يعتبر بها، المتأخرين. ويكون المَثَـل بمعنى الآية، قال الله عزّ وجل في صفة عيسى عليه السلام: ﴿**وَجَعَلْنَاهُ مَثَـلاً لِّبَنِيْ إِسْرَآئِيْلَ**﴾[5]، أي آية تدل على نبوَّته. والمثال: المقدار، وهو من الشَّبَه، والمَثَـل ما جُعل مِثالاً، أي مقداراً لغيره، يُحْذى عليه ...، والمِثال: قالب يُدخَل عين النَّصْل في خَرْق في وَسْطِه، ثم يُطرق غراره حتى ينبسطا...

وتماثل العليلُ: قارب البُرْء، فصار أشبه بالصحيح من العليل المنهوك، وقيل: إن قولهم تماثل المريض من المثول والانتصاب، كأنه همّ بالنهوض والانتصاب... وامتثلوه

---

١ – سورة محمد، الآية: ١٥.

٢ – سورة الفتح، الآية: ٢٩.

٣ – سورة محمد، الآية: ١٥، وسورة الرعد، الآية: ٣٥.

٤ – سورة الزخرف، الآية: ٥٦.

٥ – سورة الزخرف، الآية: ٥٩.

غرضا: نصبوه هدفاً... من قولهم هو أمثل قومه: أي أفضل قومه ... وقد مُثُل الرجل، مثاله أي صار فاضلاً، والأمثلُ الأفضل، والطريقة المثلى، التي هي أشبه بالحق، وقوله تعالى: ﴿**إِذْ يَقُوْلُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيْقَةً**﴾[1]، معناه: أعدلهم وأشبههم بأهل الحق ... وماثل الشيء شابهه.

والتَمثال: الصورة، ومَثَّل له الشيء: صوّره حتى كأنه ينظر إليه، ومَثَّلْت له كذا تمثيلاً، إذا صوّرت له مثاله بكتابة وغيرها، وظِل كلُّ شيء تمثاله، ومَثَّل الشيء بالشيء: سوّاه وشبهه به وجعله مثله، وعلى مثاله، وأصله من مَثَلْت الشيء بالشيء إذا قدَّرته على قدره، ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيهاً به. ويقال امتثلت مثال فلان، احتذيتُ حذوه، وسلكت طريقهُ، ومَثَل الشيء يمثل مُثولاً، ومَثل: قام منتصباً، ومَثَل لطئ بالأرض، وهو من الأضداد، ومَثَل يمثل: زال عن موضعه...، والماثل: الدارس... ومَثَل بالرجل: يَمْثَلُ مَثْلاً ومُثْلَه، ومَثَّل كلاهما: نكَّل به ... والمَثُلة: العقوبة ... وكأنّ المَثْل مأخوذ من المَثَل، لأنه إذا شَنَّع في عقوبته جعله مَثَلاً وعلماً. ويقال: امتثلتُ من فلان امتثالاً: أي اقتصصت منه ...، قال أبو زيد: والمِثال: القِصاص، قال: يقال أَمْثَلَه إمثالاً، وأقصَّه إقصاصاً بمعنى، والاسم المثال والقصاص ... وقالوا: مِثْل ماثل: أي جهد جاهدٌ. والمِثال: الفراش ... والنمط: ما يفترش من مفارش الصوف الملونة، والمثال حجر قد نُقر على خِلْقه السِّمة سواء، فلا يزالون يحتّون منه بأرفق ما يكون، حتى يَدخل المثال فيه فيكون مِثْلَه[2].

هذه خلاصة ما أورده ابن منظور في مادة "المثل" ويلحظ أنه قد جمع فيها ما وجده من أقوال اللغويين والمفسرين الذين سبقوه، فقام بحشدها مع شواهدها على غير نقد دقيق، مع أنه قد حرص على نسبة كل قول إلى صاحبه أو مصدره في معظم الأحيان، فوفّر بذلك مادة أولية غزيرة للباحثين، تساعدهم على تتبع جوانب تطور هذه المادة بأبعادها المختلفة، في اللغة والتفسير والأدب والبلاغة، سواء عند العلماء القدماء أو من حذا حذوهم من العلماء المحدثين والمعاصرين.

ويلحظ أن ابن منظور (ت ٧١١هـ) لم يكتف بإيراد معظم ما جاء في مادة "المثل" عمن سبقوه، بل ضمّنها بعض المعاني الجديدة التي لم تتضمنها المعاجم التي سبقته، كالعبرة والآية

---

١ – سورة طه، الآية: ١٠٤.

٢ – ابن منظور: نفس المصدر، ١١/٦١٠– ٦١٦.

والحديث نفسه، وانعدام المثيل، ومن الأرجح أنه أخذ هذه المعاني عن المفسرين في تفسيرهم للمثل في القرآن الكريم[1]، كما أضاف بعض المعاني الحسية الأصلية والاصطلاحية عن علماء اللغة والأدب والأمثال، كتفسير المثل بالمثال والمقدار والحذو، أخذها عن المبرد (ت ٢٥٨هـ)، ووصف المثل بالعلمية وإن سبقه الميداني (ت٥١٨هـ)[2] بالإشارة إلى أقوال بعض العلماء التي تضمنت هذه السمة الدلالية[3].

ونجد أن أهم المعاني اللغوية الأصلية والمتطورة التي تضمنتها استخدامات مادة "المثل" عند اللغويين تتلخص ـ بعد غربلتها وضم النظائر المتشاكلة بعضها إلى بعض ـ في الدلالات الرئيسية التالية.

١- المشابهة والماثلة:

لقد ذهب أكثر علماء اللغة وأصحاب المعاجم الذين عالجوا مادة "المثل" ودلالاتها في الاستخدام اللغوي، إلى أن المثل يعني الشَّبه والمِثْل، وعدُّوا لفظ المثل من أوسع دلالات التشبيه بين الشيء وغيره وأشملها، فلفظه يشمل دلالة النِّدِّية في الجوهر، والمشابهة في الكيفية، والمساواة في الكمية، والمشاكلة في القدر والمساحة، وأوضح الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) ذلك بقوله والمثل "عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني، أي معنى كان، وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمُشابهة، وذلك أن النِّد يقال فيما يشارك في الجوهر فقط، والشّبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط، والمساوي فيما يشارك في الكمية فقط، والشكل فيما يشارك في القَدْر والمساحة فقط، والمثل عام في جميع ذلك"[4] فالأصفهاني يرى أن المثل يطابق الشَّبه في الدَّلالة لشمولية لفظه، واستيعابه أبعاد المشابهة من وجوه متعددة.

وظل علماء اللغة وأصحاب المعاجم يؤكدون معنى الشبه ويصدرون به مادة "المثل" في معاجمهم اللغوية، ثم يتبعون ذلك بدلالتها على المعاني الأخرى، حتى ذهب بعض الباحثين إلى أنه ليس في مادة المثل اللغوية من المشتقات ما يصعب إرجاعه إلى معنى المشابهة والماثلة، كالمثال والتماثل، والمَثْل والمُثْلّة[5]، وقد أورد ابن منظور (ت ٧١١هـ) أنه "يقال هذا مِثْله ومَثَلُه، كما

---

١ – انظر الفياض: **الأمثال في القرآن**، ص ٢١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.

٢ – انظر المبرد: **المقتضب**، تحقيق: محمد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ٢٢٥/٣.

٣ – انظر الميداني: **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر، ١٩٥٩م، ٦/١، والنويري: **نهاية الأرب**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٤م، ٢/٣.

٤ – الراغب: **المفردات**، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦١م، ص٤٦٢، وانظر ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٠/١١.

٥ – انظر الفياض: نفس المصدر، ص ٥١.

يقال: شِبْهُه وشَبَهه بمعنى" واحد، ويوضح في موضع آخر أن قولنا: ماثل الشيءُ الشيءَ: شابهه، ومَثَّل الشيء صوره، ومنه المِثال "صفة الشيء وصورته" وجاء معناه "صورة الشيء الذي يحمل صفاته"[1] ويؤكد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ورود المثل بمعنى التسوية والتشبيه، فيقول: "ومُثَّل الشيءُ بالشيء، سُوِّي به، وقُدِّر تقديره"[2] وكذلك جاء لفظ: مثَّل المضعّف عند ابن منظور (ت ٧١١هـ) بمعنى صوَّر وشَبَّه، وقالوا "مَثَّل له الشيء: صوَّرَه حتى كأنه ينظر إليه ومَثَّل الشيءَ بالشيء: سوّاه وشبَّهه به، وجعله مِثْلَه". ومنه جعلهم التمثال من المماثلة والمحاكاة "وأصله من مثلت الشيء بالشيء، إذا قدرته على قدره ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيهاً به"[3]. وبالمعنى نفسه فسروا لفظ "المَثُلات" "وأحدها مُثْلَة: وهي الأشباه والأمثال والنظائر"[4].

وقد أخذ كلٌّ من ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) والميداني (ت ٥١٨هـ) هذه الدلالة اللغوية، فقال ابن رشيق "المثل والمثل: الشبيه والنظير"[5] وقال الميداني "المثل ما يُمثَّل به الشيء، أي يُشبَّه"[6] ولو تتبعنا مشتقات المادة جميعها، لأمكن إرجاع دلالاتها إلى المشابهة والمماثلة عند هؤلاء اللغويين.

وربط علماء اللغة والمعجميون بين المثل والمثل ربطاً محكماً، ربما لتضمن كليهما معنى الشبه، حتى كأن اللفظين لفظ واحد، يمكن أن يطلقا على عموم المماثلة، وقد ألمح أبو بكر بن دريد (ت٣٢١هـ) في معرض إشارته إلى سيرورة الأمثال ومعرفة الناس بها إلى أن "المثل السائر معروف من الأمثال، وجمع مَثَل: أمثال، وكذلك مِثل ويقال مثلت كذا وكذا أي شبهته"[7] فجعل اللفظين بمعنى واحد.

ويصرح إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت ٣٥٠هـ) بتعبير أكثر وضوحاً أن اللفظين متماثلين في ترادفهما المعنوي، ويقول: "والمَثَل بمعنى المِثْل، كما يقال شَبَه وشِبْه"[8]، ويتابعه إسماعيل بن

---

١ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٠/١١–٦١٥.

٢ – الزمخشري: نفس المصدر، ٣٦٦/٢، وابن منظور: نفس المصدر، ٦١٤/١١.

٣ – ابن منظور: نفس المصدر، ١١/ ٦١٣– ٦١٤.

٤ – أبو عبيدة: **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٥م، ٣٢٣/١.

٥ – ابن رشيق: **العمدة**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م، ٢٨٠/١.

٦ – الميداني: نفس المصدر، ٦/١.

٧ – ابن دريد: نفس المصدر، ٥٠/٢.

٨ – الفارابي: **ديوان الأدب**، تحقيق: أحمد مختار عمر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٤– ١٩٧٦م، ٢٢٩/١.

حماد الجوهري (ت ٣٧٠هـ) في هذا الرأي ويعبر عن رأيه بكلمات تكاد تطابق كلمات الفارابي، فيقول: "يقال هذا مِثْله ومَثَلُه، كما يقال شِبْهه وشَبَهه بمعنى"(١).

أما أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) فيرى أن كلا اللفظين بمعنى النظير، ثم يربط بين هذا المعنى والمعنى الاصطلاحي للمثل، فيصرح بأن ضرب الأمثال واستخدامها يقوم على أساليب التورية البلاغية، ويقول: "الميم، والثاء، واللام، أصل صحيح، يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مِثل هذا، أي نظيره والمِثْل والمَثَل كشِبه وشَبه، والمَثَل المضروب مأخوذ من هذا، لأنه يُذْكر مُوَرّى به عن مثيله في المعنى"(٢).

وذهب الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) والزمشخري (ت ٥٣٨هـ) أيضاً إلى أن المَثَل بمعنى المِثْل ويعني النظير أيضاً(٣).

وممن رأوا تمام المطابقة بين دلالتي المَثَل والمِثْل، المِيداني (٥١٨هـ)، فهما عنده لفظ واحد ... " فَمَثَل الشيء، ومِثْله، وشَبَهه وشَبْهه: ما يماثله قدراً وصنعة"(٤)، وربما كان شهاب الدين الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ) من أكثر العلماء جزماً بتطابق معنى هذين اللفظين واستعمالهما بمعنى واحد في اللغة، حيث يؤكد ذلك بقوله "المَثَل "بفتحتين" كالمِثْل "بكسر فسكون"، والمَثَل في الأصل الشبيه، والنظير، والتفرقة لا أرتضيها"(٥).

واعتبر ابن منظور (ت ٧١١هـ) أن كلمتي مَثَل ومِثْل بمعنى واحد، وهو التسوية، ويبدأ هذه المادة في معجمه بمثل ما ابتدأها به الجوهري (ت ٣٧٠هـ) فيقول: "مَثَل: مِثْل، كلمة تسوية، يقال هذا مثْله كما يقال شبهه وشَبَهه بمعنى"، ثم يوضح ابن منظور معنى التسوية بأنه التكافؤ في المقدار بين الشيئين لا يزيد ولا ينقص(٦).

---

١ – الجوهري: نفس المصدر، ١٨١٦/٥.

٢ – ابن فارس: نفس المصدر، ٢٩٦/٥.

٣ – الراغب الأصفهاني: نفس المصدر، ص ٤٦٢، والزمخشري: **الكشاف**، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٧م، ١٩٥/١.

٤ – الميداني: نفس المصدر، ٦/١.

٥ – الآلوسي، شهاب الدين محمود (١٢٧٠هـ): **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني**، المطبعة المنيرية، مصر، د. ت.

٦ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٠/١١.

ولكن علماءً آخرين خالفوا ما ذهب إليه أصحاب الرأي الأول في مطابقة معنى لفظتي المَثَـل والمِثْـل، فأثبتوا فروقاً جوهرية بين معنييهما من الناحية الدقيقة، ونفوا إمكان ترادفهما في خصوص الدلالة، فقد أشار الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) إلى ما بين المَثَـل والمِثْـل من بعض الفوارق، فقال "يقال: هذا عبد الله مِثْـلك وهذا رجل مِثْـلك، لأنك تقول: أخوك الذي رأيته بالأمس "مِثلك"، ولا يكون ذلك في مَثَـل"[١] بيد أن الخليل لم يفصل في إيضاح الاختلاف بين اللفظين في الاستخدام.

ولكن ابن بِّري (ت ٥٨٢هـ) وآخرين فرّقوا بين دلالة اللفظين، وأوضحوا الفارق بينهما بصورة محددة جلية، فقد جعل ابن بِّري معنى المَثَـل: المماثـَلَة، ومعنى المِثْـل المساواة، ثم فرق بين المماثلة والمساواة بقوله "الفرق بين المماثلة والمساواة، أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار، لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلاّ في المتفقين، فإذا قيل: هو مِثله على الإطلاق، فمعناه أنه يسدُّ مسدَّه، وإذا قيل: هو مثله في كذا فهو مساوٍ له في جهةٍ دون جهة"[٢].

فالمثل بمعنى المماثلة عنده يعني المطابقة التامة بين المتفقين في الجنس وحسب، أما المِثْـل بمعنى المساواة فيعني التكافؤ في المقدار بين المختلفين في الجنس والمتفقين، وعليه فإن "مِثْـل" أشمل في دلالتها من "مِثَـل" بل وتستوعب معناها أيضاً، والعكس لا يصح، وربما يكون هذا التفريق ما عناه الخليل في رأيه السابق.

ويتجلى هذا التفريق أيضاً فيما ذهب إليه الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) فرأى "أن المِثْـل (بالكسر) هو الذي يكون مساوياً للشيء في تمام الماهية، والمَثَـل (بالفتح) هو الذي يكون مساوياً له في بعض الصفات الخارجة عن الماهية"[٣] فهذا التفريق دقيق جداً وواضح جلي، فالمثل (بالكسر) يعني المساواة بين الشيئين في كل الوجوه، وتطابقهما تماماً، أما المَثَـل (بالفتح) فيعني تناظر الشيئين ومشاكلتهما جزئياً في بعض الوجوه لا غير.

---

١ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٠/١١.

٢ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٠/١١.

٣ – محمد بن عبد الله الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٧م، ٤٩٠/١.

أما ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ) فيفرق بينهما من وجه آخر في الدلالة، فالمثل عند (بالكسر) "عبارة عن شَبَه المحسوس و (بالفتح) عبارة عن شَبَه المعاني المعقولة"[١]. يذهب ابن أبي الأصبع (ت ٦٥٤ هـ) في التفريق بينهما إلى رأي يؤيد رأي الرازي، فيرى "أن المَثَل لا يشبه المثْل من جميع الوجوه، ولو تماثل المثلان من كل الوجوه لاتحدا"[٢].

ويورد أحمد بن محمد الفيومي (ت ٧٧٠هـ) تفريقاً واضحاً بينهما رغم اقتضابه الشديد ويرى أن المِثْل "المكسور بمعنى شبه، والمفتوح بمعنى الوصف"[٣].

ويكتفي الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في التفريق بينهما بانكار ترادفهما في الدلالة، ويوضح رأيه في اختلاف دلالتهما من خلال المقارنة بينهما في آيتين كريمتين، فيقول: "لو كان المِثْل والمَثَل سيان للزم التنافي بين قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ وبين قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ**﴾ فإن الأولى نافية له، والثانية مثبتة له"[٤]. ويبدو أن معنى كل من المَثَل والمِثْل لا يتجلى في حقيقته إلا بقرينة الاستعمال في سياقات التعبير اللغوي، فتحدد عندها حدود كل منهما الدلالية، ومقدار الاشتراك بينهما في المعنى، ويتوقف الجزم على مدى تقاربهما أو تباعدهما في الدلالة بناء على ذلك.

يتضح من استعراض آراء اللغويين السابقة أن معظمهم ربط المِثل والمَثَل من خلال اشتراكهما في دلالة المشابهة، رغم أن بعضهم قد نبه إلى ما بين اللفظين من فارق، وإلى أن اللفظين على عموم المماثلة، وليس المِثل (بالكسر) كذلك، وقد أوضح الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ما في المِثل (بالكسر) من عموم الدلالة بقوله "... والمِثل عام في جميع ذلك، ولهذا لما أراد الله تعالى نفي التشبيه من كل وجه، خَصَّه بالذِّكر، فقال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[٥]، فتفسير بعض العلماء المَثَل بالمِثْل تفسير غير دقيق، وينطوي على تعميم واسع ومبهم.

---

١ – الزركشي: نفس المصدر، ٤٩٠/١.

٢ – ابن أبي الأصبع: **بديع القرآن**، تحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٥٨.

٣ – أحمد بن محمد الفيومي: **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، ٨٦٩/٢، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٢م.

٤ – الزركشي: نفس المصدر، ٤٩٠/١، سورة الشورى، الآية: ١١، سورة النحل، الآية: ٦٠.

٥ – الراغب: نفس المصدر، ص ٤٦٢، سورة الشورى، الآية: ١١.

٢- الصفة:

اختلف علماء اللغة في دلالة "المثل" على الصفة، حتى أننا نجد عدداً من كبار المعجميين الأوائل لم يشر إليها في معاجمهم، من أمثال الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، وأبي بكر بن دريد (ت ٣٢١هـ)، وأحمد ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، والزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في **أساس البلاغة**، وأما من تعرض لها من علماء اللغة فقد انقسموا بين مقرّ بصحة دلالة المثل على الصفة، وبين رافض لتفسيره بها، وقد نقل ابن منظور (ت ٧١١هـ) جملة وافية من أقوالهم في اختلافهم حول هذه المسألة[١].

وأول من وصلنا عنه إقراره بدلالة لفظ المثل على معنى الصفة عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما (ت ٦٨هـ)، فقد نُقل عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِيْ وُعِدَ الْمُتَّقُوْنَ**﴾ أن مثل الجنة صفتها[٢]، ولعل من تلاه من علماء اللغة والتفسير قد علقوها عنه، وقد ذهب إلى هذا الرأي كل من أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ)، وتلميذه يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ)، ومحمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ) و إسحاق بن إبراهيم والفارابي (ت ٣٥٠هـ) وإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨هـ) وأبي منصور الثعالبي (ت ٣٢٩هـ).

ويبدو أن ما ورد عن هذه النخبة من العلماء وغيرهم يكفي لاثبات صحة دلالة المثل في الاستخدام اللغوي على معنى الصفة، وقد سرد ابن منظور (ت ٧١١هـ) آراء هؤلاء العلماء على النحو التالي: "قال الجوهري: ومَثَـل الشيء أيضاً صفة، قال ابن سيده: قوله عزّ من قائل ﴿**مَثَـلُ الْجَنَّةِ الَّتِيْ وُعِدَ الْمُتَّقُوْنَ**﴾ ... قال أبو إسحاق: معناه صفة الجنة ... قال عمر بن أبي خليفة: سمعت مقاتلاً صاحب التفسير يسأل أبا عمرو بن العلاء عن قول الله عزّ وجل ﴿**مَثَـلُ الْجَنَّةِ**﴾ ما مَثَـلها؟ فقال: ﴿**فِيْهَآ أَنْهَارٌ مِّنْ مَّآءٍ غَيْرِ آسِنٍ**﴾، قال: ما مَثَـلها؟ فسكت أبو عمرو، قال: فسألت يونس عنهما، فقال مَثَـلُها: صفتها، قال محمد بن سلام: ومِثل ذلك قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ مَثَـلُهُمْ فِيْ التَّوْرَاةِ وَمَثَـلُهُمْ فِي الْإِنْجِيْلِ**﴾ أي صفتهم، قال أبو منصور: "ونحو ذلك روي عن ابن عباس" وهذا ما ذهب إليه الفارابي (ت ٣٥٠هـ) أيضاً.

وقد أيد ابن منظور (ت ٧١١هـ) أراء هؤلاء العلماء حيث عقب على أقوالهم ناقلاً ما ذكره الأزهري (ت ٣٧٠هـ) فقال: "وأما جواب أبي عمرو بن لمقاتل حين سأله ما مَثَـلُها؟ وسكوت

---

١ - انظر ابن منظور: نفس المصدر، ١١/ ٦١١-٦١٢.

٢ - ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٢/١١، سورة محمد، الآية: ١٥، وسورة الرعد، الآية: ٣٥.

أبي عمرو عنه، فإن أبا عمرو أجابه جواباً مقنعاً، ولما رأى نبوة فهم مقاتل سكت عنه، لما وقف من غلظ فهمه، وذلك أن قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ**﴾ تفسير لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ وصف تلك الجنات، فقال: مثل الجنة التي وصفتها..."[1]. وقال الفارابي (ت ٣٥٠هـ) "والمثل: الوصف"[2].

لقد تحامل الأزهري (ت ٣٠هـ)، وابن منظور (ت ٧١١هـ) على مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ) المفسر المعروف، والحق إن تكرار سؤال مقاتل لأبي عمرو إنكار لجوابه بأن المثل يعني الصفة في تفسير هذه الآية، وفي أي موضع آخر وردت فيه من القرآن الكريم[3].

وممن قال بدلالة لفظ المثل على الصفة في بعض مواضع وروده في القرآن الكريم ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) فيرى أنه "قد يكون المثل بمعنى الصفة، من ذلك قول الله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِيْ وُعِدَ الْمُتَّقُوْنَ**﴾ أي صفة الجنة، وقوله تعالى: ﴿**وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِيْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ أي الصفة العليا"[4].

ويبدو أن الميداني (ت ٥١٨هـ) أكثر علماء اللغة والأمثال صراحة وتحمسا لهذا الرأي، حتى أنه جعل دلالة لفظ المثل على الصفة استعمالاً أصلياً لها، وجعل المشابهة دلالة مكتسبة، وردها إلى الصفة، وهذا ما لم يقله عالم غيره، فقال: "فالمَثَل ما يُمَثَّل به الشيء، أي يُشبَّه فصار المَثَل اسماً مصرحاً لهذا الذي يُضرَب، ثم يرد إلى أصله الذي كان له من الصفة، فيقال: مَثَلُك ومَثَلُ فلانٍ أي صفتك وصفته. ولِشدَّة امتزاج الصفة به صح أن يقال: جعلت زيداً مَثَلاً، والقوم أمثالاً"[5]. ونسب محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) إلى ظاهر كلام أهل اللغة أن المَثَل هو الصفة[6]. وقد أشار

---

١ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١١/١١–٦١٢، وانظر الأزهري: نفس المصدر، ٩٦/١٥، والجوهري: نفس المصدر، ١٨١٦/٥، سورة محمد، الآية: ١٥، وسورة الفتح، الآية: ٢٩، سورة محمد، الآية: ١٢، سورة الحج، الآيات: ١٤، ٢٣.

٢ – الفاربي: نفس المصدر، ٢٢٩/١.

٣ – انظر مقاتل بن سليمان البلخي: **الأشباه والنظائر**، تحقيق: عبد الله شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م، ٢٠٧/١–٢٠٨.

٤ – ابن رشيق: نفس المصدر، ٢٨٠/١، سورة محمد، الآية: ١٥، سورة الروم، الآية: ٢٧.

٥ – الميداني: نفس المصدر، ٦/١.

٦ – الزركشي: نفس المصدر، ٤٩٠/١.

علماء آخرون إلى ورود هذه الدلالة في تفسير معنى المثل مقيدة، إما باستخدام لفظ المثل بالدلالة على الصفة بندرة ورودها عند العرب بهذا المعنى، وإما بحملها على الاستعمال المجازي.

أما الرأي الذي يحملها على الندرة والقلة، فقد ذهب إليه الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، فيقول في معنى المَثَـل والمِثْـل "قال بعضهم: وقد يعبر بهما عن وصف الشيء أيضاً، نحو قوله تعالى: ﴿مَثَـلُ الْجَنَّةِ الَّتِيْ وُعِدَ الْمُتَّقُوْنَ﴾ ... و ﴿لَيْسَ كَمِثْـلِهِ شَيْءٌ﴾ ... قيل المثل ها هنا هو بمعنى الصفة ومعناه ليس كصفته صفة"(١).

وأما الرأي الذي يحملها على المجاز فقد ذهب إليه محمد بن مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) فقد روى عن شيخه أبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي (ت ١١٧٠هـ) احتمال إطلاق المَثَـل على معنى الصفة مجازاً، فقال: "قال شيخنا، ويمكن أن يكون إطلاقه عليها من قبيل المجاز، لعلاقة الغرابة"(٢). وهناك فريق آخر من العلماء يرفض رفضاً باتاً أن تدل لفظة المثل على معنى الصفة، ومن هؤلاء محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٥٨هـ)، وأيده في ذلك أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت٣٧٧هـ).

أما المبرد (ت ٢٥٨هـ) فيرى في تفسير لفظ "المثل" في قوله تعالى: ﴿مَثَـلُ الْجَنَّةِ الَّتِيْ وُعِدَ الْمُتَّقُوْنَ﴾ رأياً آخر ويوضحه بقوله: "فالتقدير فيما يتلى عليكم، مَثَـل الجنة، ثم قال: فيها وفيها" ثم يخطِّئ من يرى تفسيره بمعنى الصفة، ويعلل ذلك بقوله: "ومن قال إن معناه صفة الجنة، فقد أخطأ، لأن "مَثَـل" لا يوضع في موضع صفة، إنما يقال: صفة زيد أنه ظريف وأنه عاقل، ويقال: مَثَـل زيد مَثَـل فلان، إنما مأخوذ من المثال والحذو، والصفة تحلية ونعت"(٣).

أما أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) فيرى أن المعروف عن العرب استخدامهم لفظ المثل بمعنى التمثيل، أي التشبيه، ولم يُعْرَف عنهم استخدامه بمعنى الصفة، فقال: "إن المثل "بمعنى" الصفة غير معروف في كلام العرب، إنما معناه التمثيل"(٤) ويبدو أن زلهايم Sellheim تأثر برأي أبي علي

---

١ – الراغب الأصفهاني: نفس المصدر، ص ٤٦٢، سورة محمد، الآية: ١٥، سورة الشورى، الآية: ١١.

٢ – الزبيدي: نفس المصدر، ١١٠/٨.

٣ – المبرد: نفس المصدر، ٢٢٥/٣، وابن منظور: نفس المصدر، ٦١٢/١١، والزبيدي: نفس المصدر، ١١٠/٨، سورة محمد، الآية: ١٥، وسورة الرعد، الآية: ٣٥.

٤ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١١/١١، والزبيدي: نفس المصدر، ١١٠/٨.

الفارسي دون سواه، حين حمل معنى المثل على التمثيل وحسب بقوله: "لا يفهم من اشتقاق كلمة المثل شيء أكثر من التمثيل، ومعناه تشبيه شيء بشيء"(١).

ويظهر أن رفض المبرد (ت ٢٥٨هـ) وأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) تفسير المثل بمعنى الصفة نابع من التمسك الحرفي بوضع المعنى الأوّلي الأصلي لألفاظ اللغة، مع أن ظاهرة الاشتراك اللفظي في اللغة التي اعتمدا عليها فيما ذهبا إليه من دلالة لفظ "المثل" على المثال والتمثيل، لا تمنع من استخدام لفظ المثل بمعنى الصفة على مبدأ تعدد الدِّلالات. واعتراضهما في هذه المسألة فيه نظر، فليس بالإمكان التقيد في تفسير الألفاظ اللغوية بما يوضع في مواضعها كما ذهب المبرد، وإلاّ فإن التمثيل الذي قال به أبو علي الفارسي غير بعيد عن هذا الوصف المفضي إلى الصورة، أو الصفة التي تُصوِّر الموصوف وتُمثِّله، فقد أورد ابن منظور مايلي: "مَثَّل له الشيء، صوّره حتى كأنه ينظر إليه ومنه الحديث" لا تمثَّلو بنامية الله، "أي لا تشبهوا بخلقه، وتصوِّروا تصويره"(٢).

وما وصفت به الجنة في الآية الكريمة موضع اختلاف اللغويين والمفسرين من هذا الضرب من الوصف، ولو كان المَثَل بمعنى الصفة أو الوصف غير معروف في كلام العرب، كما يزعم الفارسي، لما رأينا تلك الجمهرة من اللغويين يفسرونه به، وقد أيد أمين الخولي هذا الرأي بقوله: "ومع أن اللغويين لا يتفقون على تفسير المثل بمعنى الصفة، إلاّ أن أصل المادة لا ينفيه، ولا يستبعده، لأن التمثيل هو تشبيه وتصوير، فقرب أن يكون وصفاً وأن يكون المثل صفة"(٣).

ومع ذلك فقد وفق المبرد والفارسي فيما ذهبا إليه في الكشف عن دلالات أخرى من دلالات المثل، وأضاءا جوانب أخرى من تطور دلالته اللغوية تستحق التأمل والأخذ بعين الاعتبار.

٣- العبرة والحجة والآية والحديث:

يبدو أن هذه المعاني اللغوية للمثل خاصة ببعض دلالات استخدامه في القرآن الكريم، وقد علقها أصحاب المعاجم عن المفسرين، وهي مما أورده ابن منظور (ت ٧١١هـ) في معجمه وقد سبقه الأزهري (ت ٣٧٠هـ) في إيرادها، ولم يورد ابن منظور شاهداً واحداً على هذه المعاني من خارج القرآن

---

١ - زلهايم: **الأمثال**، ٢٢، ترجمة رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.

٢ - ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٣/١١.

٣ - أمين الخولي: **الأمثال في القرآن**، محاضرات ألقاها على طلبة الدراسات العليا في جامعة القاهرة، (مخطوط)، وانظر الصغير، محمد حسين: **الصورة الفنية**، ص ٤٧، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٢م، والفياض: نفس المصدر، ص ٢٤-٢٥.

الكريم، ومما أورده في تفسير المثل بمعنى العبرة قوله: "وقد يكون المثل بمعنى العبرة ومن قوله عزّ وجل: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَـلاً لِلآخِرِيْنَ﴾ ... ومعنى قوله "ومَثَـلاً" أي عبرة يعتبر بها المتأخرون"(١).

ويورد استخدام المثل بمعنى الحجة فيقول: "ويقال تَمَثَّل فلانٌ: ضرب مَثَـلاً، وتَمَثَّل بالشيء ضربه مَثَـلاً، وفي التنزيل العزيز: ﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوْا لَه﴾ وذلك أنهم عَبَدوا من دون الله ما لا يسمع ولا يُبصر، وما لم ينزل به حُجَّة"(٢) فجعل ضرب المثل في هذه الآية إقامة الحجة على الناس. ثم يشير إلى دلالة المثل على معنى الآية والبرهان، فيقول: "ويكون المثل بمعنى الآية، قال عزّ وجل في صفة عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَـلاً لِّبَنِيْ إِسْرَآئِيْلَ﴾ أي آية تدل على نبوته"(٣). ثم يضيف دلالة لفظ المثل على الحديث نفسه، فيقول: "والمَثَـل الحديثُ نفسه، وقوله ـ عزّ وجل ـ: ﴿وَلِلّهِ الْمَثَـلُ الأَعْلَى﴾ جاء في التفسير إنه قول "لا إله إلاّ الله" وتأويله أن الله أمر بالتوحيد، ونفى كل إله سواه، وهي الأمثال"(٤).

ويؤكد الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) استخدام لفظ المثل بمعنى الحجة والحديث بقوله: "المَثَـل ـ محركة ـ الحجة والحديث"(٥). وينقل ابن منظور عن ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) تفسير المثل بالخبر، فيقول "قال ابن سيده وقوله عزّ وجل من قائل: ﴿مَثَـلُ الْجَنَّةِ الَّتِيْ وُعِدَ الْمُتَّقُوْنَ﴾ قال الليث مَثَـلُها هو الخبر عنها"(٦). ويورد أحمد رضا هذه المعاني في معجمه، غير أنه يقيِّد استخدام المثل بمعنى الآية بأن تكون "دالة على الشيء"(٧) متأثراً برأي ابن منظور السابق.

وذهب بعض الباحثين إلى أن معاني العبرة والحجة والآية والحديث والخبر ليست من معاني لفظ المثل الحقيقية أو البلاغية، وإنما هي من قبيل اشتباه المفهوم بالمصداق عند الأصوليين، لأن هذه المعاني من غايات إرسال المثل وضربه، وليست من معانيه الصريحة، فقد تكون الغاية من ضرب

---

١ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٢/١١، سورة الزخرف، الآية: ٥٦.

٢ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٢/١١، سورة الحج، الآية: ٧٣.

٣ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٢/١١، سورة الزخرف، الآية: ٥٩.

٤ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١١/١١، سورة النحل، الآية: ٦٠، وانظر الأزهري: نفس المصدر، ٩٥/١٥.

٥ – الفيروز آبادي: نفس المصدر، ٤٩/٤.

٦ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١١/١١، وانظر الأزهري: نفس المصدر، ٩٥/١٥، سورة محمد، الآية: ١٥.

٧ – رضا: نفس المصدر، ٢٤٥/٥.

المثل العبرة، أو إقامة الحجة، أو إظهار الآية الدالة على أمر ما، أو ايراد حديث بعينه، أو خبر على علاته[1]، ويؤكد ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ) ذلك بقوله: "إنما سمي مثلاً لأنه ماثل لخاطر الإنسان أبداً، يتأسى به، ويعظ ويأمر ويزجر"[2].

ويرجح أن هذه المعاني من لوازم استخدام بعض الأمثال، وبخاصة في القرآن الكريم، فتكون دلالة المثل عليها من قبيل التعريض الذي يطلق ويراد لازمه. ويؤكد الهمداني (ت ٣٢٠هـ) أن ألفاظ المعاني السابقة هي مما يعطف على لفظ المثل، فتؤدي نتائجه نفسها، أو تفيد تبعية معناه فتتداخل معه، وتتضمن شيئاً من دلالته الخاصة بحكم المجاورة والانعطاف في سياق النص، ويستشهد على ذلك بأمثلة منمذجة من التعبيرات الجاهزة ويقول: "وجعلته مَثَلاً مضروباً وأحدوثة سائرة وعبرة ظاهرة وعظة بالغة، وتقول: جعلته حديثاً للغابر وأعجوبة للناظر ومثلاً للسامع وعبرة للمتوسم وعظة للمتفكر"[3]. فلكل واحد من هذه الألفاظ المتعاطفة دلالتها اللغوية الخاصة، فشغلت بعض لوازم المثل، فجاز عطفها عليه بهذا التقاطر.

٤- التمثيل والمِثَال والتمثال والحذو:

يعد أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) فيما يذكره صاحب اللسان من أوائل اللغويين الذين أشاروا إلى هذا الجانب الدلالي في تفسير لفظ المثل، وأوضح ذلك بقوله: "إنما معناه التمثيل"[4] وتتداخل هذه الدلالة مع دلالة التصوير، وتكشف المادة المعجمية عند ابن منظور (ت ٧١١هـ) عن علاقة وثيقة بينهما، بحيث يذهب إلى تفسير إحداهما بالأخرى، فيقول "مَثَّل له الشيء: صوّره حتى كأنه ينظر إليه، وامتثله: تصوّره"[5].

ونلحظ مثل هذه العلاقة الدلالية عند اللغويين بين التمثيل والمثال، فلئن كان المثال الشيء الذي يحذى عليه، فإن الحذو عليه تمثيل به "يقال: مَثَّلْتُ، بالتثقيل والتخفيف، إذا صوّرت مِثالاً،

---

١ – انظر الصغير، محمد حسين: نفس المصدر، ص ٤٧ – ٤٨.

٢ – ابن رشيق: نفس المصدر، ٢٨٠/١.

٣ – الهمداني، عبد الرحمن عيسى (ت ٣٢٠هـ): **الألفاظ الكتابية**، ص ١٣، دار الهدى، بيروت، ١٩٧٩م.

٤ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١١/١١.

٥ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٣/١١.

ومَثّل الشيء بالشيء، سوّاه وشبّهه به، وجعله مِثْلَه، وعلى مِثاله، ومنه الحديث، "رأيت الجنة والنار مُمَثّلتين في قبلة الجِدار"، أي مصورتين أو مِثالهما"[1].

وكما ربط اللغويون بين المثال والتمثيل فقد ربطوا بين هذين اللفظين وبين التَّمثُّل، فقال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) "ومَثَّل مِثالاً وتمثَّلَه: اعتمله"[2].

وأبعد من ذلك فقد أشاروا إلى ما بين التَّمثُّل والمَثَـل الاصطلاحي ذاته من العلاقة والتداخل في الدلالة، فقال ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) "مَثَّل به، وامتثله، وتمَثَّل به وتَمَثَّله: تَمَثَّل بالأمثال والمَثَـل الشيء الذي يضرب لشيء مَثَـلاً، فيجعل مِثْله، وفي **الصحاح** "والمَثَـل: ما يضرب به من الأمثال"[3] ثم يضيف ابن منظور (ت ٧١١هـ) "ويقال تمثَّل فلان ضرب مَثَـلاً، وتمثَّل بالشيء ضربه مثلاً"[4] وقيل "مَثَّل تمثيلاً وتِمْثالاً بالشيء، ضربه مَثَـلاً وتمثله وتمثَّل به بمعنى واحد وتمثَّل بالشيء ضربه مَثَـلاً"[5].

ومما بين المثال وما حُذِي عليه من مماثلة ومشاكلة أُخذ "التِّمثال" بمعنى الصورة، لكونها تماثل الشيء الذي هي صورة مُمّثَّله له، "وأصله من مَثَّلت الشيء بالشيء إذا قدّرته على قدره، ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيهاً به، واسم ذلك الممثَّل تمثالاً" ومنه سمي الشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله تِمثالاً، ومنه الحديث "لا تشبهوا بنامية الله" أي لا تشبهوا بخلقه وتصوروا "مثل تصويره"[6].

ويتضح من ذلك أن مادة "المثل" قد دلت على المثال والتمثال، وكذلك على التمثُّل والتمثيل الملازمتين للدلالتين السابقتين، وهذه المعاني مؤتلفة ومتداخلة فيما بينها.

ويرجح بعض الباحثين أن الأصل المادي الذي أخذ عنه معنى المثل هو الحجر الذي نُقِر في وجهه على قدر طرف العمود، ليدخل فيه فيثبت، أو المكحال، لحتّهم إياه حتى يدخل في فوهة المكحلة، وقد أطلق العرب عليها لفظ المثال، للتماثل بين طرف العمود والنُقرة في وجه الحجر،

---

١ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٢/١١، وانظر آرنت يان ونسنِك: **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٥٥م، ٣٢٦/١.

٢ – الزمخشري: نفس المصدر، ٣٦٦/٢.

٣ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١١/١١، وانظر الجوهري: نفس المصدر، ١٨١/٥.

٤ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٢/١١.

٥ – رضا: نفس المصدر، ٢٤٤/٥ – ٢٤٥.

٦ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٣/١١–٦١٤.

والمكحال وفوهة المكحلة[1]، وقد أوضح ابن منظور (ت ٧١١هـ) ذلك بقوله "والمثال حجرٌ قد نقر في وجهه نقرٌ على خلقة السِّمة سواء، فيُجْعَل في طرف العمود، أو المُلْمُول المُضَهَّب، فلا يزالون يحتُّون منه بأرفق ما يكون حتى يدخل المثال فيه، فيكون مثله"[2].

وقد ذهب ابن السكيت (ت ٢٤٣هـ) إلى أن العرب شبهوا المثل بالمثال الذي يعمل عليه غيره، وكأنه يلمح إلى العلاقة المجازية بين تطور دلالة المثل الاصطلاحية ودلالته المادية الأصلية[3]، وهذا ما أوضحه المبرد (ت ٢٥٨هـ) من بعده، وعناه بقوله "إنما المَثَل مأخوذ من المِثال والحذو"[4].

وأُطلق المثال على "القالب الذي يقدَّر على مِثله، قال أبو حنيفة: المثال قالب يُدْخَل عين النَّصْل في خَرق في وسطه، يم يثطرق غراره حتى ينبسط، والجمع أَمثِلةٌ"[5] ومنه أُطلق المَثَل والمثال على كل ما جعل مقداراً لغيره، وعلى كل ما يحذى عليه، أو يحتذى به، فقد نقل ابن رشيق (ت٤٥٦هـ) عن بعض العلماء "إنما معنى المَثَل المِثال الذي يحذى عليه، كأنه جعله مقياساً لغيره"[6] وقريب من ذلك ما أورده الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) حيث يقول "والمِثال وضع شيء ما ليحتذى به"[7] ومن هذا المعنى ربطوا بين الأمثال والمثال وجعلوا في اقترانها معنى التزام اتباع أمر أو شيء اتباعاً تاماً لا يعدوه "ويقال امتثلت مثال فلان، احتذيت حذوه وسلكت طريقه"[8]، وقال ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) مؤكدا معنى التزام الحذو "وامتثل طريقته، تبعها فلم يَعْدُها"[9].

وربط ابن منظور (ت ٧١١هـ) بين معنى المثال والمشابهة، وكأن معنى الحذو على المقدار مشابهته فقال "والمثال المقدار، وهو من الشبه، والمثل ما جعل مثالاً، أي مقداراً لغيره ويُحذى

---

١ – انظر الفياض: **أمثال القرآن**، ص ٢٥.

٢ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٦/١١، المُلْمُول: المكحال، وضَهَّب الرمح أو القوس بالنار، لوحها، أو عرضها عليها عند تتقيفها، انظر: مصطفى إبراهيم ورفاقه: **المعجم الوسيط**، ٩٢٢/١، ط ٣، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٥م.

٣ – انظر الميداني: نفس المصدر، ٦/١.

٤ – المبرد: نفس المصدر، ٢٢٥/٣، الميداني: نفس المصدر، ٦/١.

٥ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٦/١١.

٦ – ابن رشيق: نفس المصدر، ٢٨٠/١.

٧ – الراغب: نفس المصدر، ٤٩٢.

٨ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٤/١١.

٩ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٤/١١.

عليه"[1]، ومن الحذو على المثال أخذ معنى "التمثال" ليدل على الشيء المصور، لأن معنى "مَثَّل له الشيء: صوّره حتى كأنه ينظر إليه"[2].

وأطلق المثال على القصاص والعقوبة بالقود لحذوهم؛ المُقتصَّ منه على المُقْتَصّ لهُ ومعاقبته بمثل جريرته "قال أبو زيد: والمثال القصاص، قال: ويقال أمثله إمثالاً وأقصه، إقصاصاً بمعنى، والاسم المثال والقصاص"، ويقال "أمثل السلطان فلاناً إذا أقاده، وأمثَـل فلان الرجلَ وامتثل منه بمعنى واحد، أي قتله بقَوَد واقتص منه"[3]، ويبدو معنى المماثلة والمشابهة في العقوبة واضحاً في هذا الاستعمال، ومن المثال بمعنى القصاص أخذ المُثْـل والمُثْـلَة بمعنى التنكيل، فقد قال الجوهري (ت٣٩٨هـ) مَثَـل به، يَمثُـل مَثْـلاً أي: نكل به، والاسم المَثْـلَة والمُثُـلَةِ "بفتح الميم وضم الثاء" العقوبة"[4]. أما ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) فيحمل معنى التنكيل على الحذو والمماثلة معاً، فيرى أن "قولهم مَثَّـل به إذا نكَّل، هو من هذا أيضاً، لأن المعنى فيه أنه إذا نُكِّل به جعل ذلك مِثالاً لكل من صنع ذلك الصنيع، أو أراد صُنْعَه"[5].

وللأزهري في هذا المعنى رأي فيه شيء من الغرابة، إذ يحمل معنى العقوبة محملاً مجازياً على المعنى الاصطلاحي للمثل؛ للحوظة سمة العلمية في كلا المعنيين، فيقول "والعرب تقول للعقوبة مَثْـلَة ومُثْـلَة. وكأن المَثْـل مأخوذ من المَثَـل، لأنه إذا شَنَّع في عقوبته، جعله مَثَـلاً وعلماً[6]، ويعقب ابن منظور (ت ٧١١هـ) على هذه الآراء بقوله "ومَثَـل بالرجل يَمْثُـل مَثْـلاً ومُثْـله .. ومَثَّـل كلاهما، نَكَّل به"[7]، وربما كان قولهم "مِثْل ماثل، أي جَهْد جاهد"[8] قريب جداً من معنى المِثْل بدلالته على العقوبة والقصاص، لما في المثل الماثل من إجهاد ومعاناة.

---

١ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٢/١١.

٢ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٣/١١.

٣ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٥/١١.

٤ – الجوهري: نفس المصدر، ١٨١٦/٥.

٥ – ابن فارس: نفس المصدر، ٢٩٦/٥–٢٩٧.

٦ – الأزهري: نفس المصدر، ٩٩/١٥، وانظر: ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٥/١١.

٧ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٥/١١.

٨ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٥/١١.

ويظهر أن جل هذه المعاني بقيت تحوم من قريب أو بعيد حول المماثلة والمشابهة والظهور والاحتذاء[1].

٥- المثول والشخوص والانتصاب:

إن استخدام المثل بمعنى المثول والشخوص والبروز يقوم على اعتبار لغوي أصيل، حتى أن كثيراً من الباحثين رأوا فيه الدلالة اللغوية الأصلية الاشتقاقية للمثل، فقد لاحظ الأصمعي (ت ٢١٦هـ) دلالة المثل على معنى الانتصاب، فأشار إليه بقوله "مَثَل بين يديه إذا انتصب"[2]، فأخذ عنه المبرد (ت ٢٥٨هـ) ذلك بنصه وقال "فقولهم: مثل بين يديه إذا انتصب"[3] وكذلك ذهب الفارابي (ت٣٥٠هـ)[4].

وقد ربط جماعة من العلماء منهم ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) وابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) والطبرسي (ت ٥٤٨هـ) بين المعنى الحسي للمثل بمعنى المثول أو الشخوص أو الانتصاب وبين المعنى التجريدي والنفسي له، قال ابن رشيق مؤكداً هذا المعنى وإمكان إرجاع الدلالات الأخرى للفظ المثل إليه "إنما سمي "المَثَل" مَثَلاً لأنه ماثلٌ لخاطر الإنسان أبداً، يتأسى به، ويعظ ويأمر ويزجر، والماثل الشاخص المنتصب، ومن قولهم: طلل ماثل أي شاخص، فإذا قيل: رسم ماثل، فهو الدارس، والماثل من الأضداد، وقال قوم: إنما معنى المَثَل المِثال الذي يحذى عليه ... وهو راجع إلى ما قدمت"[5].

ويكاد ابن سنان الخفاجي أن ينقل عبارات ابن رشيق بنصها فيقول "سمي "المثل" مثلاً لأنه ماثل بخاطر الإنسان أبداً: أي شاخص، فيتأسى به، ويتعظ، ويخشى، ويرجو، والشاخص: المنتصب"[6].

---

١ - انظر الميداني: نفس المصدر، ٦/١، والنويري: **نهاية الأرب**، ٢/٣.

٢ - الأصمعي، عبد الملك بن قريب: **الأضداد**، ص ٣١، تحقيق أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٢م.

٣ - الميداني: نفس المصدر، ٦/١، والنويري: نفس المصدر، ٢/٣.

٤ - الفارابي: **ديوان الأدب**، ١٣١/٢.

٥ - ابن رشيق: نفس المصدر، ٢٨٠/١.

٦ - الزركشي: نفس المصدر، ٤٨٧/١، وانظر الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ): **مجمع البيان**، ٥٤/١، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م.

أما ابن القيم (ت ٧٥١هـ) فيعمد إلى أخذ عبارات ابن رشيق أو ابن سنان بحرفيتها ثم يعقب عليها بإيضاح هام ينص فيه على أن دلالة لفظ المثل على معنى الشخوص والمثول هو الأصل اللغوي لمعنى المثل، فيقول "وسُمِّي المثل مثلاً لأنه ماثل بخاطر الإنسان، أي شاخص به ويتعظ ويخشى ويرجو والشاخص المنتصب، وهو من قولهم طَلّلٌ ماثلٌ أي شاخص، وهذا رسمه اللغوي"(١).

وبسط ابن منظور (ت ٧١١هـ) القول في دلالة المثل على معنى المثول والانتصاب والشخوص، فقال: "ومَثَـل الشيء يَمثُـل مُثولاً ... ومَثْـل: قام منتصباً، ومَثُـل بين يديه مثولاً أي انتصب قائماً، ومنه قيل لمنارة المسرجة ماثلة" ومنه "قولهم تماثل المريض من المثول والانتصاب، كأنه همَّ بالنهوض والانتصاب ويقال: المريض اليوم أمثل: أي أحسن مُثولاً وانتصاباً"، ورغم تفسير ابن منظور المثول بالانتصاب والشخوص والظهور، إلاّ أنه يلمح فيه الدلالة على المشابهة، فيقول "وتماثل العليل، قارب البُرْء، فصار أشبه بالصحيح من العليل والمنهوك"(٢).

ولا يفوت ابن منظور أيضاً ملاحظة ظاهرة التضاد في استخدام المثول بمعنى الظهور والشخوص من ناحية، وبمعنى الاختفاء واللطور بالأرض من ناحية أخرى، فيقول: "والماثِل: القائم، والماثل: اللاطئ بالأرض وهو من الأضداد ومَثَـل يَمْثُـل: زال عن موضعه، مَثَـل أي ذهب، والماثل: الدارس"(٣).

ورغم ظاهرة التضاد في استخدام المثول بمعنى الظهور والاختفاء في الأصل اللغوي لها، فقد رجَّح بعض العلماء والباحثين أن يكون استخدام المثل بمعنى المثول والانتصاب هو الأصل الحسي المادي لكل المعاني الأخرى، وذلك لإمكان إرجاعها جميعاً إليه كما ذهب ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ) وتابعه على هذا الرأي الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) فقال صراحة "مَثَـل: أصل المُثول والانتصاب، والممثل المصوّر على مثال غيره، ويقال مَثْـل الشيءُ انتصب وتَصوَّر"، فالمثول هو الشخوص، والشخوص هو الانتصاب أمام الناظر، سواء أدركنا ذلك بالرؤية الحسية أم بالتخيل الذهني، فكل ما كان شاخصاً لأمر ما كان مَثَـلاً له، وعلماً يعرف به، فكأنه ماثل بين اليدين ومنتصب أمام العين(٤).

---

١ – ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي أيوب (ت٧٥١هـ): **الفوائد**، ص ٦٧، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٣٧هـ/ ١٩٠٩م.

٢ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٢/١١– ٦١٣، وانظر: ابن دريد: نفس المصدر، ٥٠/٢.

٣ – ابن منظور: نفس المصدر، ٦١٤/١١، وانظر الأصمعي: نفس المصدر، ص ٣١، والفارابي: نفس المصدر، ١٣١/٢، وانظر: الجوهري: نفس المصدر، ١٨١٦/٥.

٤ – انظر ابن رشيق: نفس المصدر، ٢٨٠/١، والراغب الأصفهاني: نفس المصدر، ص ٤٦٢، والصغير: نفس المصدر، ص ٤٨.

وقد أعاد فلايشر Fleischer دلالة المثل الأصلية في اللغة إلى معنى الشخوص والظهور، فرأى أن معنى المثل بطبيعته المادية الحسية هو "العرض في صورة حسية"(١)، وقد وافقه على هذا الرأي أمين الخولي، فذهب إلى إمكان إعادة جميع الدلالات الذهنية لمادة المثل إلى معنى البروز والشخوص الحسي، فقال: "قد يمكننا أن نرجع معنى المادة حسياً إلى البروز والشخوص، إذ قالوا: مَثَـل ومَثُـل، أي قام منتصباً..." (٢).

ويعود الفضل في ترجيح هذا الرأي إلى ما نقله الميداني (ت ٥١٨هـ) عن أحد العلماء الذين لم يذكر اسمه حيث يقول: "سميت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالاً لانتصاب صورها في العقول، مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب"(٣).

تأصيل لفظ المثل ودلالته اللغوية:

يؤكد علماء الساميات أن جذر لفظ المثل موجود في أصول اللغات السامية جميعها، وهو مأخوذ من المماثلة والمشابهة(٤)، فقد ذهب أيسفيلد Eissfeldt إلى أن الأصل السامي الذي اشتقت منه هذه اللفظة متقارب في مادته في جميع اللغات السامية، وهو في العربية: مَثَـل، وفي العبرية: masal، وفي الآرامية matla، وفي الحبشية mesl و mesale، وفي الأكادية maslum، و masalum، وفي الأشورية masalu وفي السريانية metal، وجميع هذه الأصول اللغوية تتضمن معنى المشابهة والمماثلة والنظير، وقد وافق زلهايم Sellheim أيسفيلد Eissfeldt في هذا التأصيل وأخذه عنه(٥).

وأكد فلايشر Fleischer "أن أصل معنى المثل الاشتقاقي هو العرض في صورة حسية"(٦). ويحصر هاينرشز W.Heinrichs معاني المثل الاصطلاحي في البيان والتشبيه والمقارنة والموازنة(٧). وجاء في دائرة المعارف الدينية (ER) أن كلمة المثل (Parable) تعني في أصلها اليوناني المقارنة والموازنة، وقد استعملت في الترجمة مقابلة لكلمة مَثَـل العبرية السامية في العهد القديم، لتدل على التعبير المثلي،

---

١ – زلهايم: **الأمثال**، ص ٢٢.

٢ – الخولي: **الأمثال في القرآن** (مخطوط)، وانظر الصغير: نفس المصدر، ٥٠.

٣ – الميداني: نفس المصدر، ٦/١، والأحدب، إبراهيم بن السيد علي (ت ١٣٠٨هـ): **فرائد الآل في مجمع الأمثال**، ١١/١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٣١٢هـ.

4- R. Sellheim*: Mathal*, in E12, Vol. VI, 815 ff.

5- O. Eissfeldt: *Der Maschal*, S. 33,40 ff.; R. Sellheim: *Die Klassischarabischen Sprichwortersammlungen*, S. 8 ff.

وانظر عابدين عبد المجيد: **الأمثال في النثر**، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٦م، ٤–٦.

6- Fleischer: Kleine Schriften, Vol. 1, S 592; O. Eissfeldt: *Der Maschal*, S. 33,41.

7- W. Hernrichs: *The hand of the north wind*, S. 7.

وللتوسع في معناها المجازي، وإلى مثل هذا أشارت المادة نفسها في دائرة معارف الدين والأخلاق (ERE)[1].

وأشار علي أصغر حكمت إلى أن كلمة مَثَـل موجودة في أكثر اللغات السامية، وأنها مأخوذة من كلمة "مِثْـل" بمعنى الشبيه والنظير[2]، وذهب حنا فاخوري إلى أن لفظ "المَثَـل" مستعملة في جميع اللغات السامية بمعنى التشبيه والموازنة والمقارنة[3].

ويرى عبد المجيد عابدين أن المعنى الاصطلاحي للفظ المثل قد نقل عن معنى المشابهة والمماثلة، وذلك من خلال لمح الناطقين به للشيء المصور أو المجسد، وهو بذلك يوافق رأي معظم علماء الساميات واللغويين العرب، غير أنه يخالفهم في أن المشابهة ليست المعنى الأصلي الذي اشتق منه معنى المثل الاصطلاحي والمعاني الأخرى له، ويقول "لاحظ عدد من الباحثين أهمية الصورة المجازية في مدلولات المثل، فربطوا بينها وبين بعض معاني اللفظ في اللغة، ورجحوا أن أصل المثل القولي يرجع إلى معنى المجاز، أو التشبيه، وهذا هو الرأي الشائع بين كتاب العرب"[4].

وقد بالغ بعض الباحثين في إيضاح الصلة بين المثل والمجاز فردّ بعضهم أصل المثل إلى المجاز، ويرى عابدين أن المجاز قد دخل في المثل بطريق غير مباشر، اكتسبه أثناء تطوره خلال العصور والأجيال، ثم ينتهي "إلى أن معنى النظير والمشابهة لم يكن المعنى الأصلي في المادة اللغوية للمثل"[5]. ويشير إلى ورود كلمة "مَثَـل" في العبرية للدلالة على معنى الحكم والسيادة مطلقاً. ويحاول أن يتلمس هذه الدلالة لكلمة مَثَـل في العربية فلا يجد صلة مباشرة بين دلالة لفظتي "حكم" و "مثل"، ويجد أن العربية "لا تستعمل لمعنى الحكم ألفاظاً مشتقة من "مثل" في الدلالة على الحكم والسيادة، في حين نجد لغات سامية أخرى كالعبرية قد استغنت بمادة "مثل" عن مادة "حكم" في الدلالة على الحكم والسيادة"[6].

1- ER. P. 559 ff.; ERE. Vol. 1, P 628; O. E. Moll; *Uber die altesten Sprichwortersammlungen*, S. 14 ff.

٢ – علي أصغر حكمت: **أمثال القرآن**، ١١٨، مطبعة المجلس، طهران، ١٩٥٥م/١٣٣٣هـ، ش، (بالفارسية)، وانظر الفياض: نفس المصدر، ٤٣.

٣ – حنا فاخوري: **الحكم والأمثال**، ٨، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

٤ – عابدين: نفس المصدر، ٦، ١٦.

٥ – عابدين: نفس المصدر، ١٨ وانظر: O. Eissfeldt: *Der Maschal*, S. 42.

٦ – عابدين: نفس المصدر، ٢–٣، وانظر: A. Dillmann: *Chrestomathia Aethiopica*, S 176; M Jastrow: *Dictionary of the Talmud*, P. 855.

ويحاول تحمل بعض التأويلات لدلالات لفظ المثل، وربطها بمعنى الحكم والسيادة عسفاً، ويستشهد على ذلك بقوله: "مَثَـل الرَّجل يمثل مَثالة إذا فَضُل وحَسُن حاله، والمثيل الرجل الفاضل وتقول العرب امتثل القوم ما قال فلان أي أذعنوا أو أطاعوا، وربما كان في قولهم: مِثْـل ماثل أي جهد جاهد إثارة من معنى القوة الذي حملته الكلمة قديماً"(١). وقد سبق أن قدّمنا ما يردّ معاني هذه الاستعمالات اللغوية للمثل إلى معنى المشابهة أو إلى معنى البروز والشخوص عند اللغويين.

ومن أجل إثبات وجهة نظره ربط بين المثل والتمثال، ثم ربط بين التمثال وما كان يرتبط به من ممارسات السحر والطقوس الدينية التي يسيطر الكهنة من خلالها على الناس، فيرى أن "التمثال في ذهن السامي القديم، كان رمز السيادة والإخضاع، إذ هو الوسيلة إلى الحماية والبقاء، أو هو السيد القوي الذي يرجى خيره من شره" وبناء عليه يفترض "أن السامي القديم حين سمى الصورة "مِسْل" أو تمثالاً، اشتق اللفظ من معنى الغلبة والسيطرة"(٢). ثم يصل إلى الرأي القاطع "أن معنى الحكم والسيطرة هي من أقدم معاني المادة اللغوية، ولم يخلُ شكل من أشكال المثل القديم من ارتباطه بالسلطة الحاكمة في نشأته الأولى، وفي تطوره، أو في الأمرين معاً"(٣).

ولكن الأدلة النصية التي يسوقها ليدعم بها رأيه هذا تأتي مرجحة لدلالة المثل على المماثلة والمشابهة، لا على الحكم والسيطرة، فيقول: "والتمثال في العربية وكذلك mesl و messale و amsal في الحبشية، كلها بمعنى الشيء المصوّر"(٤). ثم يرى أن المعاني الأخرى تفرعت عن هذه الدلالة فيضيف: "ثم نجد في المادة اللغوية معاني يبدو أنها متفرعة من معنى الشيء المصوّر، من ذلك معنى القيام والانتصاب، قال العرب: مَثْـل الشيء، إذا انتصب ومن الشيء المصوّر لمح الناطقون معنى المشابهة والمشاكلة، فورد اللفظ في الساميات: المَثَـل "في العربية"، masal "في العبرية"، mesl "في الحبشية"، metal "في السريانية" بمعنى الشبيه والنظير، واشتقوا الفعل masal في العبرية، و maslu في الآشورية، و mesala في الحبشية القديمة والأمهرية، و metal في الآرامية و metla في السريانية، وكلها أفعال تدل على المشابهة والمشاكلة، واشتق العرب من المادة لفظاً يؤدي معنى القصاص وهو العقاب

---

١ – عابدين: نفس المصدر، ٤، وانظر ابن منظور، نفس المصدر، ٦١٥/١١.

٢ – عابدين: نفس المصدر، ٥، وانظر لوبون: **حضارة بابل و آشور**، ٩٧–٩٨، ترجمة: محمود خيرت، مصر، ١٩٤٧م.

٣ – عابدين: نفس المصدر ١٩، وانظر: A.Bentzen: *Introduction to the old Testament* Vol. I, P. 168.

٤ – عابدين: نفس المصدر ٤، وانظر: A. Dillmann: *Chrestomathia Aethiopica*, S 176.

بالمثل، وقد يكون منشأ هذه التسمية أنهم لمحوا في القصاص معنى المشابهة والمشاكلة، وذلك بأن يُجْعَل شخص نظير شخص آخر في القتل..." (١).

فكل هذه الشواهد والإيضاحات لمعنى التمثال والمَثل والمِثال والمَثَلَة تؤكد على معنى المشابهة والمماثلة في استعمال لفظ المثل، وإطلاق اسم التمثال على الشيء المصوّر لغاية السحر أو العبادة، لا يقوى على إثبات دلالة السيطرة والحكم لهذه المادة اللغوية، لأن طبيعة الصورة القائمة على المشابهة والمماثلة بينها وبين الأصل الذي أخذت عنه شيء، والغاية التي صوّرت من أجله شيء آخر(٢).

وفذلكة القول أن رأي عبد المجيد عابدين في إطلاق لفظ المثل على معاني الحكم والسيادة، إلى جانب إطلاقها على معاني المشابهة والمماثلة، لا يؤيده إلاّ ما جاء في استعماله في اللغة العبرية، وقد تأثر بما وجده في اللغة العبرية وحاول تعميمه على اللغة العربية دون سند نصي قطعي الدلالة على معنى الحكم والسيادة، وقد تأثر في ذلك برأي بسترو Bestrom الذي أوضح فيه ما كان بين الأمثال العبرية السامية القديمة وبين السلطة من صلة وثيقة، فأرجع أصل المثل القولي إلى الكلمة التي ينطقها الحاكم أو السيد، تلك الكلمة القوية في نظر الناس، والمفعمة بالهيبة والسيطرة. ويرجّح أن بستروم يقصد برأيه هذا اللغة العبرية وحسب(٣).

وقد حاول بعض الباحثين تدعيم رأي عابدين معتمداً على ما ذهب إليه الجوهري (ت٣٩٨هـ) في قوله: "ومثّلت له كذا تمثيلاً: إذا صوَّرت له مثاله بالكتابة وغيرها"(٤) فرجح أن الجوهري يعني الصورة بالكتابة، والتمثال بغير الكتابة، لأن غير الكتابة، إما أن يكون وصفاً، فهو أمر تخييلي محض، وإما أن يكون عملاً يدوياً محسوساً فهو التمثال(٥). ويبدو أن عابدين حين ذهب إلى أن معنى المثل مأخوذ من التمثال الذي يعني الشيء المصوّر القائم على ماهية المشاكلة والمشابهة، ربطه بلمح الناطقين بالمثل للشيء المصوّر أو المجسّد(٦).

---

١ – عابدين: نفس المصدر ٦، وزلهايم: **الأمثال** ٢١، وانظر:
R. Sellheim: *Mathal*, in EI 2, Vol. VI, P. 815ff.; O. Eissfeld: *Der Maschal*, S 26-50.

٢ – انظر الفياض: نفس المصدر، ٤٢.

3- A.Bentzen: *Introduction to the old Testament* Vol. I, P. 168.

٤ – الجوهري: نفس المصدر، ١٨١٦/٥.

٥ – انظر الصغير: نفس المصدر، ٥١.

٦ – انظر عابدين: نفس المصدر، ٦.

ويتضح مما تقدم أن معظم اللغات السامية قد اتفقت على الأصل الاشتقاقي لكلمة المثل، وعلى مدلولها اللغوي بمعنى المشابهة والمماثلة، باستثناء اللغة العبرية حيث بدا فيها اللفظ مشتركاً في دلالته بين المشابهة والسيادة، وقد انفردت بذلك، وتميزت اللغة العربية عنها بوجود أصلين لغويين مختلفين، أحدهما للمماثلة والمشابهة "مَثَـل" والآخر للحكم والسيطرة والسيادة "حَكَم" وتميزت العربية كذلك بين أخواتها الساميات بتوسعها في مفهوم لفظ "المثل" اللغوي، حيث أعطت هذه الكلمة زخماً لغوياً حافلاً في عدة أبعاد دلالية في الاستخدام اللغوي والاصطلاحي والبلاغي.

ويبقى الجدل قائماً بين الباحثين المحدثين والمعاصرين حول المعنى الاشتقاقي الأصلي للفظة المثل، وإذا استثنينا ما انفرد به عابدين من إرجاعها إلى معنى الحكم والسيطرة والسيادة، الذي ناقشناه آنفاً، فإن الباحثين ينقسمون إلى فريقين، فريق يعيد المعنى الأصلي لاستخدام لفظ المثل إلى معنى الشخوص والانتصاب والبروز، وفريق يعيده إلى المشابهة والمماثلة.

أما الفريق الأول فيعتمد على ما ذهب إليه اللغويون الأوائل الذين قدمنا مناقشة آرائهم، أمثال ابن السكيت، والمبرِّد، والفارابي، وابن رشيق، والخفاجي، والميداني، وابن منظور وغيرهم. وممن يرى رأيهم شهاب الدين الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) الذي يردّ الأصل الاشتقاقي للفظ المثل إلى معنى المثول والانتصاب، ويربط بينه وبين المعنى الاصطلاحي على أساس الصلة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي، فيقول "المَثَـل "بفتحتين" كالمِثْـل "بكسر فسكون"، والمَثَـل في الأصل الشبيه والنظير، والتفرقة لا أرتضيها، وكأنه مأخوذ من المثول، وهو الانتصاب. ثم أُطلق على الكلام البليغ الشائع الحسن، المشتمل على تشبيه بلا تشبيه، أو استعارة تمثيلية وغيرها، أو حكمة، أو موعظة نافعة، أو كناية بديعة، أو نظم من جوامع الكلم الموجز..." [1]. فالآلوسي يؤكد أصالة معنى المشابهة والمماثلة في المثل، إلاّ أنه يرده بعد ذلك إلى المعنى الحسي المادي، ويجعله مأخوذاً من المثول والانتصاب.

أما منير القاضي فيجعل الأصل الدلالي لكلمة المثل ومشتقاتها دلالتها على معنى الحضور والظهور والانتصاب، ويجعل معنى المماثلة والمشاكلة ضمن الدلالة الاحتمالية التالية للمعنى الأصلي الأول، وكأنه يردها إليه كما فعل الألوسي، فيقول: "إن صيغة مَثَـل وما يشتق منها تنبئ عن معنى الحضور والظهور، وقد تدل على المشابهة والمشاكلة، تقول: مَثَـل الرجل بين يدي فلان، أي حضر لديه منتصباً، ومَثَـل القمر: أي ظهر، وماثل فلان فلاناً أي شابهه، وماثل فلان بفلان أي شابهه به، وفلان مِثل فلان، أي شبهه، وضرب له مثلاً: أي بيَّن له حجَّة ودليلاً، وبسط له مثلاً: أي وضّح له

---

١ – الآلوسي: نفس المصدر، ١٦٣/١.

حديثاً، ولا يخرج الدليل والحديث عن دائرة معنى الظهور، وتمثَّل الشيء: أي تصوَّر مثاله، والمِثال صفة مقدار الشيء، ولا يخرج تصور الشيء عن معنى حضوره في الخيال. والمثل في مصطلح الأدب: هو القول السائر المُمَثَّل بمضربه، أي المُشَبَّه حالة مضربه، بحالة مورده: أي الحالة التي كان قد ورد فيها القول، فهو استعارة تمثيلية، مبنية على التشبيه المركب، وقد حصر علماء الأدب قديماً وحديثاً الكلام في المثل بهذا المعنى"[1].

وشبيه بهذا ما ذهب إليه أمين الخولي، حين قام بارجاع معظم ما جاء في مادة "مثل" عند ابن منظور (ت ٧١١هـ) من اشتقاقات ودلالات إلى معنى البروز والشخوص، فقال: "وقد يمكننا رجع معنى المادة حسياً إلى البروز والشخوص، إذ قالوا: مَثَـل ومَثُـل: أي قام منتصباً، ورأيته ماثِلاً بين يديه: أي قائماً، وقالوا لمنارة المِسْرَجة: ماثِلة، وقالوا: امتثلوه غرضاً: أي نصبوه هدفاً، وقام مُمَثِّلاً: أي منتصباً وقالوا: يَمْثُـل الناس قياماً: أي يقفون وكانوا ينصبون الجاني للقصاص، فسموا ذلك مَثْـلاً، والمِثال القِصاص. ومن الشخوص والبروز سموا المنحوت تِمثالاً، وقد استعملوا المادة في ضد المعنى الأول من البروز والشخوص، وهو الانبطاح، والاختفاء، فقالوا: مَثَـل: لطأ بالأرض، ومنه قالوا للفراش: مثال كما قالوا: "الماثل من الرسوم لغير المستبين ...، وقد يكون تماثل المريض للشفاء من ترك المثال: وهو الفراش، كما يمكن أن يكون من المثول: أي القيام والانتصاب، ولعله من الثاني أوضح"[2].

ثم يخلص الخولي إلى أن دلالة المثل على المشابهة تأتي تالية لدلالة على معنى الشخوص والبروز، ثم يتلو معنى المشابهة الدلالة المجازية للمثل الاصطلاحي، فيقول: "وهكذا تبين لنا انتهاء الاستعمال إلى معنى الشبه، فقيل: مِثْـل ومَثَـل، كشِبه وشَبَه وشبيه، إن المِثل أهم الألفاظ الموضوعة للمشابهة. ومن معنى المشابهة جاء استعمال المَثَـل السائر للقول، يشبه به حالة بحالة، كما جاء منها سائر معاني المثل، من التشبيه التمثيلي والاستعارة التمثيلية، أو من مطلق المشابهة في الاستعمال القرآني، ثم يستعمل المَثل بمعنى الصفة.." [3].

وقد تبنى نور الحق تنوير آراء منير القاضي وأمين الخولي، وتفسيراتهم لمادة المَثَـل ومشتقاتها ودلالالتها، وكرر ما خلصوا إليه في أصل المادة الحسي وإرجاعه إلى معنى الشخوص والبروز

---

١ – منير القاضي: **المثل في القرآن**، ٣، بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي الجزء السابع، سنة ١٩٦٠م، ص ٣– ٣٥، وانظر الفياض: نفس المصدر، ٤٤.

٢ – الخولي: نفس المصدر، وانظر الفياض: نفس المصدر، ٤٥.

٣ – الخولي: نفس المصدر، وانظر الفياض: نفس المصدر، ٤٦.

والحضور، ثم يخلص إلى "أن مادة "مَثل" تنبئ عن معنى الشخوص والحضور، كما أنها قد تدل على المشابهة والمشاكلة، وتُستعمل في معنى الحديث والحجة، والصفة أيضاً"[1].

أما الفريق الثاني من الباحثين فيرجحون إرجاع المعنى الأصلي للمثل إلى معنى المشابهة والمماثلة، فيري زلهايم Sellheim أنه "لا يُفْهم من اشتقاق كلمة "المثل" شيء أكثر من التمثيل، ومعناه تشبيه شيء بشيء"[2]، ويعتمد في هذا الرأي على ما ذهب إليه الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في مقدمة كتابه **المستقصى**، حيث يقول: "والمثل في لغة العرب بمعنى المِثْل كالشَّبَه والشِّبْه"[3].

ويعدّ محمد الفياض من أكثر الباحثين تحمساً لهذا الرأي، فقد رد ما خلص إليه الآلوسي والقاضي والخولي ومن تابعهم، وفنَّد آراءهم، ونقض حججهم التي اعتمدوا عليها، وقال: "إن إرجاع المَثَل أو مادة "مَثَل" بجملتها إلى المثول والبروز والشخوص. أثر من آثار طغيان الغرض الذي ضُربت الأمثال من أجله على طبيعة المَثَل وماهيته"[4]. ويذهب إلى أن الخولي قد فسر مادة المثل ومشتقاتها: كالمثال والتِّمثال والمَثْل والمُثْلَة على معنى الشخوص والبروز قسراً.

ويحاول إعادة تفسير المثل ومشتقات مادته اللغوية بما يتواءم ورأيه في إرجاع معناه الأصلي إلى المشابهة والمماثلة، فيقول: إن إرجاع المثل إلى غير الشبه بعيدٌ، وإن مادة "مثل" من الشبه، وإن المَثَل من هذه الأسرة اللغوية الموضوعة للمشابهة والمماثلة، فهو من المثال، ويؤدي ما يؤديه المِثال من معنى الشيء الممثل به، أو المحذو عليه، وتَمَثُّله وتمثيْله اللازمين له"[5].

ويحاول أثناء محاولته تفسير مادة المثل ومشتقاتها بمعنى المشابهة أن ينهج على منهج الآلوسي والخولي، وما أخذه عليهما من النظر إلى تفسير هذه المادة نظرة أحادية، لا ترى غير قسرها على المعنى الذي يراه، وهو الشَّبَه، ويقوم بتجاهل احتمال عودتها إلى معانٍ أخرى أصلية في الاستعمال اللغوي، فيقول "ومما لا شك فيه أن المثال بمعنى المقدار، أو القالب، أو القصاص، أو غير ذلك، من الشبه، وليس من البروز والشخوص، فالعرب لم تطلق لفظ المثال على القصاص إلاّ لما فيه من تماثل

---

١ – نور الحق تنوير: **أمثال القرآن**، ١–٣، رسالة ماجستير مخطوطة في كلية دار العلوم، بجامعة القاهرة، سنة ١٩٦٣م، وانظر الفياض: نفس المصدر، ٤٦– ٤٧.

٢ – زلهايم: **الأمثال**، ٢٢.

٣ – الزمخشري: **المستقصى في الأمثال** "المقدمة" هـ، هامش ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ـ الهند، ١٩٦٢م.

٤ – الفياض: نفس المصدر، ٤٧–٤٨.

٥ – الفياض: نفس المصدر، ٥١.

بين المقتص منه والمقتص له. وكذلك إطلاقهم للفظ على القالب والمقدار، لما بين القالب وما حُذي عليه من تماثل، وبين المقدار وما حذي عليه من مساواة، وهكذا جاء المثال دالاً على المماثلة والمشابهة، لا على البروز والشخوص"(١).

ويحاول بالطريقة نفسها إرجاع باقي مشتقات هذه المادة إلى معنى المشابهة فيرى أن "التمثال من المماثلة والمحاكاة بينه وبين من يمثله... ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيهاً له، ومثل هذا يمكن أن يقال في المُثْـل والمُثْـلّه ... وفي **معجم غريب القرآن** المَثُـلات: وأحدها مُثـلَة وهي الأشباه والأمثال"(٢).

وحين تعذر عليه إرجاع المعنى الأصلي لمادة المثول إلى المشابهة، سلم بارجاعها إلى معنى الشخوص والبروز، ثم حاول بتحمل ومشقة بالغة رد معنى المثول إلى المشابهة من خلال تفسير قول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) تفسيراً قسرياً واضحاً حيث، يقول: "ومَثل الرجل قائماً إذا انتصب، والمعنى ذاك "أي المماثلة والمشابهة"، لأنه كأنه مِثال نُصِب"(٣). فمعنى الانتصاب والبروز والثبات في الوقوف واضح في لفظ المثول في هذا القول، وبعد جداً أن يدل على الشبه، ثم يرى استبعاد الاحتجاج بدلالة المثول على معنى الانتصاب والبروز، وإرجاعه إليه كمعنى أصلي لمادة "مثل"، لأنها من الأضداد تدل على الانتصاب والانبطاح وعلى الحضور والظهور، والغياب والزوال. ويخلص بعد هذا إلى أنه "من العسير إرجاع مادة "مثل" إلى البروز والشخوص والظهور، في حين ليس في مفردات المادة اللغوية ما يصعب إرجاعه إلى المشابهة والمماثلة"(٤).

ويبدو أن هذا الباحث قد تأثر عيمقاً بما ذهب إليه المبرد (ت ٢٥٨هـ) في هذا الخصوص، فقال: "المَثَـل مأخوذ من المثال ... والأصل فيه التشبيه، فقولهم: مثل بين يديه، إذا انتصب، معناه أشبه الصورة المنتصبة، والمثال القصاص للتشبيه بحال الأول"(٥). يلمِّح المبرد هنا إلى العلاقة الجدلية بين معنى الشخوص ومعنى التشبيه، وقد جمع معظم اللغويين والباحثين بين المعنيين في تأصيل معنى المثل، غير أنهم اختلفوا في أيهما أسبق على الآخر، فكلاهما يظهر دلالة حسية مادية مرتبطة ببدايات

---

١ – الفياض: نفس المصدر، ٤٨.

٢ – الفياض: نفس المصدر، ٤٩، وانظر أبو عبيدة: **مجاز القرآن**، ٣٢٣/١، وعبد الباقي محمد فؤاد، **معجم غريب القرآن**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٠م.

٣ – ابن فارس: نفس المصدر، ٢٩٧/٥.

٤ – الفياض: نفس المصدر، ٥١.

٥ – الميداني: نفس المصدر، ٦/١، والنويري: نفس المصدر، ١/٣.

استعمال المادة في الحياة العربية البدوية، فالمثال والتمثال يتضمنان دلالات حسية تصلح أصلاً اشتقاقياً لمعنى هذه المادة، فدلالة المثال على الحجر المنقور تحت عمود بين الشعر، ودلالة التمثال على صورة المنحوتات التي قدَّسها العرب في معتقداتهم قبل الإسلام، فُسّرت كلتاهما بمعنى البروز والشخوص من ناحية، وبمعنى المشابهة والصورة من ناحية أخرى، فأنصار كل رأي من الآراء السابقة في تحديد المعنى الأصلي لمادة المثل اعتمدوا على الأمثلة اللغوية نفسها، بيد أن كل فريق منهم حاول تأويل هذه الأمثلة واستخدامها بصورة جدلية لتأييد وجهة نظره، ونقض وجهة نظر الفريق الآخر في الوقت نفسه، ولا أرى ما يمنع من اجتماع قدر كبير من الترادف المتزامن في دلالتي الظهور بمعنى الشخوص، والتصوير، بمعنى المشابهة في الأدلة اللغوية المستخدمة نفسها، فلا أجد ما يمنع من اتخاذهما معنيين أصليين في الوقت نفسه لمادة المثل، طالما أن ظهور أي منهما في حجج الباحثين يظهر الآخر معه، فيصبح اشتقاق دلالة المثل من المِثال أو التمثال ممكناً من قبيل اشتقاق أسماء المعاني من أسماء الأعيان، وهو اشتقاق أصيل في العربية ويعيد إلى الأذهان معنى المثول انتصاباً وتصويراً في وقت واحد، كما ذهب الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) بقوله: "مَثُل الشيء انتصب وتصوّر"[1]، وهو اشتقاق لا يخلو من وجه وجيه، فيكون في إطلاقه على معنى الصفة مقصوراً على الموارد التي في أسلوب عرضها مثول وانتصاب ومماثلة وتصوير لحقيقتها أمام العين أو متخيلة في الذهن والخاطر.

* * * *

١ – الراغب الأصفهاني: نفس المصدر، ٤٦٢.